التعليق على تفسير ابن كثير

لـ: سورة الذَّارِيَات

لفضيلة الشيخ

صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

[شرطين مفرغين]

بسم الله الرحمن الرحيم

قال العلامة المفسر ابن كثير رحمه الله تعالى:

تفسير سورة الذاريات وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا(1)فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا(2)فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا(3)فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا(4)إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ(5)وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ(6)وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ(7)إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ(8)يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ(9)قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ(10)الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ(11)يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ(12)يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ(13) ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ(14)﴾

قال شعبة بن الحجاج عن سِمَاك[1] عن خالد بن عرعرة: أنه سمع عليا رضي الله عنه، وشعبة أيضا عن القاسم بن أبي بزَّة عن أبي الطفيل، أنه سمع عليا رضي الله عنه، وثبت أيضا من غير وجه عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أنه صعد منبر الكوفة فقال: لا تسألوني عن آية في كتاب الله تعالى، ولا عن سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أنبأتكم بذلك. فقام إليه ابن الكوّاء فقال: يا أمير المؤمنين ما معنى قوله تعالى﴿**وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا**﴾، قال علي رضي الله عنه: الريح. قال: ﴿**فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا**﴾ قال رضي الله عنه: السحاب. قال: ﴿**فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا**﴾ قال رضي الله عنه:

---

[1](?) سماك هو سماك بن حرب.

السفن. قال: ﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا﴾ قال رضي الله عنه: الملائكة.

وقد روي في ذلك حديث مرفوع، فقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا إبراهيم بن هانئ، حدثنا سعيد بن سلام العطار، حدثنا أبو بكر بن أبي سَبْرة عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال: جاء صبيغ التميمي إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن الذاريات ذروا، فقال رضي الله عنه: هي الرياح، ولولا أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله ما قلته. قال: فأخبرني عن المقسمات أمرا، قال رضي الله عنه هي الملائكة، ولولا أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله ما قلته. قال: فأخبرني عن الجاريات يسرا، قال رضي الله عنه: هي السفن، ولولا أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله ما قلته. ثم أَمر بضربه، فضُرب مائة وجعل في بيت، فلما برأ دعا به فضربه مائة أخرى، وحمله على قَتَب، وكتب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: امنع الناس من مجالسته. فلم يزل كذلك حتى أتى أبا موسى رضي الله عنه فحلف بالأيمان المغلظة ما يجد في نفسه مما كان يجد شيئا، فكتب في ذلك إلى عمر رضي الله عنه فكتب عمر: ما إخلاله إلا قد صدق، فخلِّ بينه وبين مجالسة الناس. قال أبو بكر البزار: فأبو بكر بن أبي سبرة لين، وسعيد بن سلام ليس من أصحاب الحديث.

قلت: فهذا الحديث ضعيف رفعه، وأقرب ما فيه أنه موقوف على عمر رضي الله عنه، فإن قصة صبيغ بن عِسْل

مشهورة مع عمر رضي الله عنه، وإنما ضربه لأنه ظهر له من أمره فيما يسأل تعنتا وعنادا، والله أعلم.

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر هذه القصة في ترجمة صبيغ مطولة، وهكذا فسرها ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم ومجاهد وسعيد بن جُبَيْر والحسن وقتادة والسُدِّي وغير واحد، ولم يحك ابن جرير وابن أبي حاتم غيرَ ذلك.

وقد قيل إن المراد بالذاريات الريح كما تقدم، وبالحاملات وقرا السحاب كما تقدم؛ لأنها تحمل الماء كما قال زيد بن عمرو بن نفيل:

وأسلمت نفسي لمن أسلمت له المزن تحمل عذْبا زلالا

فأما الجاريات يسرا فالمشهور عن الجمهور كما تقدم أنها السفن، تجري ميسرة في الماء جريا سهلا، وقال بعضهم هي النجوم تجري يسرا في أفلاكها، ليكون ذلك ترقيا من الأدنى إلى الأعلى إلى ما هو أعلى منه، فالرياح فوقها السحاب، والنجوم فوق ذلك، والمقسمات أمرا الملائكة فوق ذلك، تنزّل بأوامر الله الشرعية والكونية، وهذا قسم من الله عز وجل على وقوع المعاد ولهذا قال تعالى ﴿**إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ**﴾ أي لخبر صدق، ﴿**وَإِنَّ الدِّينَ**﴾ وهو الحساب ﴿**لَوَاقِعٌ**﴾ أي لكائن لا محالة.

[**الشرح**]

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد:

فهذه السورة كلها مكية، ويدل على ذلك ما اشتملت عليه؛ فإنّ السور المكية تشتمل على تقرير التوحيد والمعاد والنبوات.

والتوحيد تارة يكون بذكر توحيد الربوبية، وتارة يكون بذكر توحيد الإلهية.

وصدر هذه السورة ومطلعها وهو قوله جل وعلا (**وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا(1)فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا(2)فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا**) فُسرت كما سمعت بأن الذاريات هي الريح، وأن الحاملات هي السحاب، وأن الجاريات ما ذكر، والمقسمات الملائكة، وهذا هو المشهور في تفسير هذه كما ذكر في آخر الكلام، والمشهور عن الصحابة وعن التابعين.

وهناك قول آخر وهو أنَّ هذه المقسم بها كلها الملائكة، فالذاريات هي الملائكة، والحاملات هي الملائكة، والجاريات هي الملائكة، والمقسمات هي الملائكة جميعا، وهذا من جهة النظر غير مدفوع؛ لأن مشركي العرب تعتقد في الملائكة أنها بنات الله جل وعلا، وتعبد طائفة من العرب الملائكة، وذِكر أن الملائكة يأتمرون بأمر الله جل وعلا، وأنهم مسخرون لما في هذا الملكوت من أفعال، وأنهم موكلون بهذه الأعمال، فيه إخراج لهم عما اعتقد أهل الجاهلية أو بعض أهل الجاهلية فيهم.

وهذا كما ترى يكثر في سور كثيرة كقوله جل وعلا ﴿**وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا**﴾[النازعات:1] الآيات، وكقوله جل وعلا ﴿**وَالمُرْسَلاَتِ عُرْفًا**﴾[المرسلات:1] الآيات، وكقوله جل وعلا ﴿**والصَّافَّاتِ صَفًّا(1)فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا(2)فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا**﴾[الصافات:1-3]، وأشباه ذلك.

فالأول يعني على المشهور فُسرت بذلك لما فيها من الدِّلالة على توحيد الربوبية، ولازمه أن يوحدوا الله جل وعلا في إلهيته سبحانه.

والثاني فيه إبطال لعبادة الملائكة واعتقاد أنهم آلهة وأنهم بنات الله جل وعلا.

فعلى كلٍّ الآيات مشتملة على ذكر التوحيد، سواء فسرت بالملائكة والسحاب إلى آخره؛ يعني فسرت الذاريات بالرياح والحاملات بالسحاب إلى آخره أو فسرت الجميع بالملائكة كما ذكرتُ أنه قول له حظ من النظر، فهي مشتملة أيضا على ذكر التوحيد.

وقصة صبيغ بن عسل التميمي اليمامي قصة مشهورة معروفة، والسؤال عن مثل هذه الآيات مما يكون مشتبها على قارئ القرآن له حالان:

- إما أن يسأل طلبا للفائدة.
- وإما أن يسأل تلبيسا على الناس، وتعنُّتا في طلب معنى تلك الآيات.

فإن سأل طلبا للفائدة أجيب؛ لأن رد المتشابه إلى المحكم هو صنيع الراسخين في العلم.

وإما إن سأل عن المتشابهات تلبيسا على الناس أو تعنتا فإنه يؤدب ولا يجاب، فلا يشرع في الحال الثانية أن يجاب من سأل تعنتا أو تلبيسا أو أورد الأسئلة أو الشبه أو المتشابهات على وجه التلبيس والتعنت لا على وجه طلب الفائدة فإنه يزجر كما فعل عمر رضي الله عنه.

فإذن تحمل أفعال عمر معه -مع صبيغ-، وما جاء في غيرها أنه ضربه وعلاه بالدرّة على رأسه، وغير ذلك من الروايات، على أنه علم من حال صبيغ أنه سأل تعنتا أو سأل تلبيسا، ومثل هذا يؤدب.

وقوله جل وعلا (**إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ(5)وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ**)، (**إِنَّمَا تُوعَدُونَ**) هذا هو جواب القسم، ومعنى جواب القسم؛ يعني ما جيء بالقسم لأجله، فالله جل وعلا أقسم بالذاريات وأقسم بالحاملات وأقسم بالجاريات وأقسم بالمقسمات، أو أقسم بالذاريات وعطف بالبقية عليها، فكان جواب القسم؛ يعني الغرض الذي من أجله أقسم الله جل وعلا هو تحقيق الوعد الصادق وأن يوم القيامة لا ريب فيه، وهذا فيه أيضا دليل على أن تقرير التوحيد يلزم منه تقرير المعاد. فقال جل وعلا (**إِنَّمَا تُوعَدُونَ**) يعني من بعث الناس بعد الموت وحسابهم ودخول المطيعين الرسل للجنة ودخول المعرضين عما جاءت به الرسل النار، هذا الوعد صادق.

(**وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ**) يعني أن الحساب والجزاء لواقع، والدين هنا بمعنى الجزاء والحساب كقوله جل وعلا ﴿**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾[الفاتحة:4].

والدين تأتي في القرآن على أنحاء متعددة.

منها هذا وهو أن الدين هو الجزاء.

ويأتي بمعنى الملة والشريعة كقوله جل وعلا ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ**﴾[آل عمران:19]، وكقوله ﴿**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ**﴾[آل عمران:85].

ويأتي الدين ويراد به ما يدين به الناس ويلتزمونه من الأحكام والأقوال والاعتقادات فيما بينهم، سواء كان حقا أو باطلا وهذا فيه قول الله جل وعلا ﴿**مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ المَلِكِ**﴾[يوسف:76].

وهذا كما يقال من الوجوه والنظائر في القرآن. نعم

[**المتن**]

ثم قال تعالى ﴿**وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ**﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: ذات الجمال والبهاء والحُسن والاستواء. وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جُبير وأبو مالك وأبو صالح والسُّدِّي وقتادة وعطية العوفي والربيع بن أنس وغيرهم.

وقال الضحاك والمنهال بن عمرو وغيرهما: مثل تجعّد الماء والرمل والزرع إذا ضربته الريح، فينسج بعضه بعضا طرائق طرائق، فذلك الحُبُك.

قال ابن جرير حدثني يعقوب بن إبراهيم، حدثنا ابن علية، حدثنا أيوب عن أبي قُلابة عن رجل من أصحاب النبي ✕، عن رسول الله ✕ أنه قال «**إن من ورائكم الكذَّابَ**

المضِل، وإن رأسه من ورائه حبكا حبكا». يعني بالحبك الجعودة.

وعن أبي صالح: **(ذَاتِ الْحُبُكِ)** الشدة.

وقال خصيف: **(ذَاتِ الْحُبُكِ)** ذات الصفاقة.

وقال الحسن بن أبي الحسن البصري: **(ذَاتِ الْحُبُكِ)** حبكت بالنجوم.

وقال قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلحة عن عمرو البكالي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: (**وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ**) يعني السماء السابعة. وكأنه -والله أعلم- أراد بذلك السماء التي فيها الكواكب الثابتة، وهي عند كثير من علماء الهيئة في الفلك الثامن الذي فوق السابع، والله أعلم.

وكل هذه الأقوال ترجع إلى شيء واحد وهو الحُسن والبهاء. كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: فإنها من حسنها مرتفعة، شفافة، صفيقة، شديدة البناء، متسعة الأرجاء، أنيقة البهاء، مكللة بالنجوم الثوابت والسيارات، موشحة بالشمس والقمر والكواكب الزاهرات.

وقوله تعالى ﴿**إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ**﴾ أي إنكم أيها المشركون المكذبون للرسل لفي قول مختلف مضطرب، لا يلتئم ولا يجتمع.

وقال قتادة: (**إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ**) ما بين مصدق بالقرآن ومكذب به.

﴿**يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ**﴾ أي إنما يروج على من هو ضال في نفسه؛ لأنه قول باطل، إنما ينقاد له ويضل بسببه

ويؤفك عنه من هو مأفوك ضال غُمر لا فهم له، كما قال تعالى ﴿**فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ(161)مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ(162)إِلاَّ مَنْ هُوَ صَالِ الجَحِيمِ**﴾[الصافات: 161-163].

قال ابن عباس رضي الله عنهما والسدي: (**يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ**) يضل عنه من ضل.

وقال مجاهد (**يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ**) يؤفن عنه من أفن.

وقال الحسن البصري يصرف عن هذا القرآن من كذّب به.

وقوله تعالى ﴿**قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ**﴾ قال مجاهد: الكذابون، وهي مثل التي في عبس ﴿**قُتِلَ الإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ**﴾[عبس:17]، والخرّاصون الذين يقولون لا نبعث، ولا يوقنون.

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: (**قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ**) أي لعِن المرتابون. وهكذا كان معاذ رضي الله عنه يقول في خطبته: هلك المرتابون.

وقال قتادة: (**الْخَرَّاصُونَ**) أهل الغرة والظنون.

وقوله تبارك وتعالى ﴿**الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ**﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما وغير واحد: في الكفر والشك غافلون لاهون.

﴿**يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ**﴾ وإنما يقولون هذا تكذيبا وعنادا وشكا واستبعادا.

قال الله تعالى ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ قال ابن عباس ومجاهد والحسن وغير واحد: (يُفْتَنُونَ) يعذبون، قال مجاهد: كما يفتن الذهب على النار، وقال جماعة آخرون كمجاهد أيضا وعكرمة وإبراهيم النخعي وزيد بن أسلم وسفيان الثوري: (يُفْتَنُونَ) يحرقون.

﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾ قال مجاهد: حريقكم. وقال غيره: عذابكم.

﴿هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ أي يقال لهم ذلك تقريعا وتوبيخا وتحقيرا وتصغيرا والله أعلم

[الشرح]

نقتصر على هذه الكتب التفسير عندك، ثم يليه الفرقان ثم يليه زاد المعاد ثم يليه البخاري، ثم آخر شيء التدمرية، نقتصر على هذه الخمسة إن شاء الله، نعم والحموية إن شاء الله.

وفقكم الله وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

[المتن]

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ(15)آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ(16)كَانُوا قَلِيلًا مِنْ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ(17)وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ(18)وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ(19)وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ(20)وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ(21)وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ(22) فَوَرَبِّ

السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ(23)﴾

يقول تعالى مخبرا عن المتقين لله عز وجل: إنهم يوم معادهم يكونون في جنات وعيون، بخلاف ما أولئك الأشقياء فيه من العذاب والنكال والحريق والأغلال.

وقوله تعالى ﴿**آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ**﴾ قال ابن جرير: أي عاملين بما آتاهم الله من الفرائض.

﴿**إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ**﴾ أي قبل أن يفرض عليهم الفرائض كانوا محسنين في الأعمال أيضا.

ثم روي عن ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن أبي عمر عن مسلم البطين عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى (**آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ**) قال من الفرائض، (**إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ**) قبل الفرائض يعملون. وهذا الإسناد ضعيف ولا يصح عن ابن عباس رضي الله عنه، وقد رواه عثمان بن أبي شيبة عن معاوية بن هشام عن سفيان عن أبي عمر البزار عن مسلم البَطِين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه فذكره.

والذي فسر به ابن جرير فيه نظر؛ لأن قوله تبارك وتعالى (**آخِذِينَ**) حال من قوله (**فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ**) فالمتقون في حال كونهم في الجنان والعيون، (**آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ**) أي من النعيم والسرور والغبطة، وقوله عز وجل، (**إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ**) أي في الدار الدنيا

(**مُحْسِنِينَ**) كقوله جل جلاله ﴿**كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الخَالِيَةِ**﴾[الحاقة:24].

ثم إنه تعالى بيّن إحسانهم في العمل فقال جل وعلا﴿**كَانُوا قَلِيلًا مِنْ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ**﴾ اختلف المفسرون في ذلك على قولين:

أحدهما: أن (**مَا**) نافية تقديره: كانوا قليلا من الليل لا يهجعونه.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لم تكن تمضي عليهم ليلة إلا يأخذون منها ولو شيئا.

وقال قتادة عن مطرف بن عبد الله: قلَّ ليلة تأتي عليهم إلا يصلون فيها لله عز وجل؛ إما من أولها، أو من أوسطها.

وقال مجاهد: قلّ ما يرقدون ليلة حتى الصباح لا يتهجدون، وكذا قال قتادة.

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه وأبو العالية: كانوا يصلون بين المغرب والعشاء، وقال أبو جعفر الباقر: كانوا لا ينامون حتى يصلوا العتمة.

والقول الثاني: إن (**مَا**) مصدرية تقديره: كانوا قليلا من الليل هجوعهم ونومهم، واختاره ابن جرير.

وقال الحسن البصري: (**كَانُوا قَلِيلًا مِنْ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ**) كابدوا قيام الليل، فلا ينامون من الليل إلا أقله ونشطوا فمدوا إلى السحر، حتى كان الاستغفار بسحر.

وقال قتادة: قال الأحنف بن قيس: (**كَانُوا قَلِيلًا مِنْ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ**) كانوا لا ينامون إلا قليلا، ثم يقول: لست من أهل هذه الآية.

وقال الحسن البصري: كان الأحنف بن قيس يقول: عرضت عملي على عمل أهل الجنة، فإذا قوم قد باينونا بونا بعيدا، إذا قوم لا نبلغ أعمالهم، كانوا قليلا من الليل ما يهجعون، وعرضت عملي على عمل أهل النار فإذا قوم لا خير فيهم، مكذبون بكتاب الله وبرسل الله، مكذبون بالبعث بعد الموت، فقد وجدت من خيرنا منزلة قوما خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: قال رجل من بني تميم لأبيّ: يا أبا أسامة صفة لا أجدها فينا؛ ذكر الله تعالى قوما فقال: (**كَانُوا قَلِيلًا مِنْ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ**) ونحن والله قليلا من الليل ما نقوم، فقال له أبيّ رضي الله عنه: طوبى لمن رقد إذا نعس واتقى الله إذا استيقظ.

وقال عبد الله بن سلاَم رضي الله عنه: لما قدم رسول الله ✕ المدينة انجفل الناس إليه، فكنت فيمن انجفل، فلما رأيت وجهه صلى الله عليه وسلم عرفت أن وجهه ليس بوجه رجل كذاب، فكان أول ما سمعته ✕ يقول «**يا أيها الناس: أطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وأفشوا السلام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام**».

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن بن موسى، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا حيي بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: إن رسول الله ✕ قال «**إن في الجنة غرفا يُرى ظاهرها من**

باطنها وباطنها من ظاهرها»، فقال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: لمن هي يا رسول الله؟ قال ✕ «**لمن ألان الكلام، وأطعم الطعام، وبات لله قائما والناس نيام**».

وقال معمر في وقوله تعالى: (**كَانُوا قَلِيلًا مِنْ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ**) كان الزهري والحسن يقولان: كانوا كثيرا من الليل ما يصلون.

وقال ابن عباس رضي الله عنه وإبراهيم النخعي: (**كَانُوا قَلِيلًا مِنْ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ**) ما ينامون.

وقال الضحاك: (**إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ(16)كَانُوا قَلِيلًا**) ثم ابتدأ فقال: (**مِنْ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ(17)وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**) وهذا القول إليه بُعْد وتعسف.

وقوله عز وجل ﴿**وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾ قال مجاهد وغير واحد: يصلون.

وقال آخرون: قاموا الليل وأخروا الاستغفار إلى الأسحار، كما قال تبارك وتعالى﴿**وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ**﴾[آل عمران:17]، فإن كان الاستغفار في صلاة فهو أحسن، وقد ثبت في الصحاح[2] وغيرها عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «**إن الله تعالى ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا حتى يبقى ثلث الليل الأخير فيقول:**

---

[2](?)منها خ1145، م عن أبي هريرة 758

هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من سائل فيعطي سؤله؟ حتى يطلع الفجر».

وقال كثير من المفسرين في قوله تعالى إخبارا عن يعقوب أنه قال لبنيه: ﴿**سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي**﴾ [يوسف:98]، قالوا: أخرهم إلى وقت السحر.

[**الشرح**]

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وجده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين.

أما بعد:

فهذه الآيات فيها صفة أهل الجنة، وفيها نعوتهم التي كانت سببا لدخولهم جنة الرحمن جل وعلا، فوصفهم الله جل وعلا بعدة صفات فقال الله جل وعلا (**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ(15)آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ**).

واسم (**الْمُتَّقِينَ**) في القرآن:

يكون لمن ترك الشرك وأخذ بالتوحيد، وهذا أدنى درجات التقوى وهي التي خوطب بها الناس جميعا بقوله تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ**﴾[الحج:1]؛ يعني اتقوه بتوحيده والكفر بالطاغوت والبراءة من الشرك وأهله.

والمتقون أيضا هم من اتقوا الله جل وعلا بترك المحرمات وبالإقبال على ما فرض الله جل وعلا.

وأيضا المتقون من هم سابق بالخيرات.

فالمتقي في القرآن يشمل هذه الثلاث جميعا، قد يكون المتقي ممن خلط عملا صالحا وآخر سيئا؛ لكن هنا في هذه الآيات خصّهم -خص المتقين- بصفات المسابقين بالخيرات، فقال جل وعلا (**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ**) يعني في جنات خاصة لمن هذا وصفه، وإلا فإن من المعلوم أن كل من وحّد الله جل وعلا فترك الشرك بالله طاعة لله جل وعلا فإنه من أهل الجنة بوعده الصادق جل وعلا وإن تأخر دخلوه إليها؛ لكن هذا الذي ذكر جل وعلا هنا إنما هو في أناس مخصوصين لهم منزلة خاصة في الجنة.

ولهذا نكّر لفظ الجنات فقال (**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ**)، ومن فوائد التنكير: التعظيم وتفخيم الأمر وتهويله لما هو عليه من عظم الشأن ورفعة المكانة.

وصَف الله المتقين بقوله إنهم (**آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ**)، وقوله (**آخِذِينَ**) لأهل العلم فيها تفسيران:

- منهم من قال إن الأخذ في الدنيا.
- ومنهم من قال إن الأخذ في الآخرة في الجنة.

وسياق الآيات يدل على أن الأخذ في الجنة، ولهذا قال (**إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ**) يعني قبل أخذهم للنعيم كانوا محسنين (**إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ**)، ثم فسر.

وأما الأخذ في الدنيا فكما سمعت في التفسير فإنه الأخذ بحقوق الله جل وعلا وحقوق عباده كما قال سبحانه ﴿**خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ**﴾[3] ونحو ذلك، والأخذ إذا أمر به فمعناه امتثال الأمر واجتناب النهي.

قال سبحانه (**آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ**) وإذا كان في الجنة هذا الأخذ فمعنى وصفهم بالأخذ أنهم راضون به مطمئنون إليه آنسون به، قال (**آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ**) يعني عن رضىً وطمأنينة وشكر لله وحمد له، وهذا يدل على أنهم كانوا قبل ذلك خائفين أن لا يكونوا من أهل الجنة.

قال (**كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ**) والإحسان درجات وفسّره هنا بالمسابقة في أعمال صالحات فقال (**كَانُوا قَلِيلًا مِنْ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ(17)وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**).

وقوله (**كَانُوا قَلِيلًا مِنْ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ**) كما سمعت أيضا اختلفوا فيها على قولين:

منه ما هو راجع إلى فيهم معنى (**مَا**)، ومن قال أن (**مَا**) نافية فصار معنى الآية عنده أنه لابد أن يأخذ من الليل شيئا في طاعة واجبة أو مستحبة، قال (**كَانُوا قَلِيلًا مِنْ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ**) يعني ذلك القليل لا يهجعون فيه فلابد أن لهم شيئا من الطاعة في البيت.

---

[3] البقرة:63، 93، الأعراف:171.

والقول الثاني أن (**مَا**) هنا مصدرية يعني كانوا قليلا من الليل هجوعهم؛ يعني أن أكثر الليل يقومون فيه ويتعبدون الله فيه، وهذه صفة النبي عليه الصلاة والسلام وصفة أصحابه في سورة المزمل كما في قوله جل وعلا ﴿**إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيْ اللَّيْلِ وَنِصْفَهِ وَثُلُثَهِ وَطَائِفَةٌ مِنَ الذِينَ مَعَكَ**﴾[المزمل:20] الآية.

وقوله جل وعلا (**وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**) فيه ذكر مزية الاستغفار في السحر.

والسحر يشمل ما قبل أذان الفجر؛ يعني ما قبل الفجر الصادق بقليل ويشمل ما بعده.

وأصله من جهة ضيق التنفّس يعني من جهة الخفاء وضيق التنفس، والليل له تنفس والصبح كذلك له تنفس، فوقت دخول النهار في الليل وأخذ النهار من الليل وابتداءه ما يقارب ذلك، هذا سحر، فهو من الخفاء فإذا قارب فهو ذلك الوقت.

لهذا بعض أهل العلم يرى السحر ما قبل طلوع الفجر الصادق بقليل، ومنهم من يرى أنه ما بينه وبين صلاة الفجر.

وهذا على العموم فيه فضيلة الاستغفار في هذا الوقت.

وإذا كان كذلك فإن الاستغفار في هذا الوقت أفضل من غيره؛ لأنه صفة أهل الإيمان، فقبل صلاة الفجر وبعد الأذان وما قبل الأذان بقليل أفضل ما يعمل في هذا الوقت الاستغفار؛ لأن الله وصف أهل الإيمان وأهل الجنة بأنهم يستغفرون في هذا الوقت، فقال جل وعلا في سورة آل

عمران ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ﴾[آل عمران:17]، وقال هنا (**وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**).

ولهذا قال جماعة من المحققين: إن الاستغفار في هذا الوقت أفضل من قراءة القرآن، فإن قراءة القرآن أفضل بعامة؛ لكن قد يعرض على الأوقات ما يجعل شيئا فيها أفضل من قراءة القرآن، فما قبل الأذان بقليل، وما بعد الأذان إلى صلاة الفجر الفضل فيه الاستغفار والدعاء والتبتل إلى الله جل وعلا، والخشوع وأشباه ذلك من الذكر.

وقوله (**وَبِالْأَسْحَارِ يَسْتَغْفِرُونَ**)، مجيء (**هُمْ**) هنا بين شبه الجملة والفعل يدل على تحققهم بهذا الوصف، فإن مجيء الضمير في مثل هذا يدل على تحقق الوصف وتأكده فيهم، والاستغفار هو طلب الغَفْر وهو ستر أثر الذنب والتقصير في الدنيا والآخرة؛ لأن الذنب له أثره في الدنيا بوقوع العقوبة أو الخِزي أو ظهور أثر الذنب على العبد، وله أثره في الآخرة بالعقوبة والنكال، فإذا غفر الله جل وعلا للعبد فإنه يمحو عنه أثر الذنب في الدنيا من العقوبة أو الخِزي أو ما شابه ذلك، ويمحو عنه أثر الذنب في الآخرة في العقوبة والعذاب أو الخزي أيضا.

ولهذا صار الاستغفار غير التوبة، وهنا وصفهم بالاستغفار، والاستغفار فيه معاني كثيرة متعلقة بصفات الله جل وعلا وبأسمائه.

ففي الاستغفار اعتقاد إطلاع الله جل وعلا وعلمه بحال العبد

وفي الاستغفار افتقار العبد إلى ربه جل وعلا وعلم العبد بأن الله بيده كل شيء.

وفي الاستغفار اعتقاد اسم الله الغفار الرحيم.

وفي الاستغفار اعتقاد أن الله جل علا شديد العقاب.

وفي الاستغفار أيضا اعتقاد ضعف العبد أمام ربه جل وعلا كما ثبت في الحديث الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام قال «**لو لم تذنبوا لأتى الله بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر بهم**».

وهذا لأن الاستغفار فيه من معرفة الله جل وعلا والعلم به وظهور آثار أسمائه وصفاته ما ليس في غيره، فهو من هذه الجهة أرفع من التوبة، والتوبة إذا قرنت بالاستغفار كانت كمالا، ولهذا عليه الصلاة والسلام كان يكثر أن يقول في المجلس الواحد «**ربي اغفر لي وتب علي، ربي اغفر لي تب علي**» حتى عُدَّ له مائة مرة وقال عليه الصلاة والسلام «**إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم والليلة أكثر من مائة مرة**» عليه الصلاة والسلام، وذلك لعظيم علمه عليه الصلاة والسلام بما ينفعه وبما يكون معه عليه الصلاة والسلام تذللا لله وتعرضا لآثار أسمائه وصفاته.نعم

[**المتن**]

وقوله تعالى﴿ **وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ** ﴾ لما وصفهم بالصلاة ثنى بوصفهم بالزكاة والبر والصلة، فقال (**وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ**) أي جزء مقسوم قد أفرزوه للسائل والمحروم، أما السائل

فمعروف؛ وهو الذي يبتدئ بالسؤال وله حق كما قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع وعبد الرحمن قالا: حدثنا سفيان عن مصعب بن محمد عن يعلى بن أبي يحيى عن فاطمة بنت الحسين عن أبيها الحسين بن علي رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «**للسائل حق وإن جاء على فرس**»، ورواه أبو داود من حديث سفيان الثوري به، ثم أسنده [4] من وجه آخر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وروى من حديث الهرماس بن زياد مرفوعا.

وأما (**الْمَحْرُوم**) فقال ابن عباس رضي الله عنه ومجاهد هو المحارف الذي ليس له في الإسلام سهم؛ يعني لا سهم له في بيت المال ولا كسب له ولا حرفة يتقوت منها.

وقالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنه: هو المحارف الذي لا يكاد يتيسر له مكسبه.

وقال الضحاك: هو الذي لا يكون له مال إلا ذهب، قضى الله تعالى له ذلك.

وقال أبو قلابة: جاء سيل باليمامة فذهب بمال رجل، فقال رجل من الصحابة رضي الله عنهم هذا المحروم.

وقال ابن عباس رضي الله عنه أيضا وسعيد بن المسيب وإبراهيم النخعي ونافع مولى ابن عمر رضي الله عنهما وعطاء بن أبي رباح: المحروم المحارف.

---

4 (?) 1666.

وقال قتادة والزهري: المحروم الذي لا يسأل الناس شيئا.

قال الزهري: وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**ليس المسكين بالطواف الذي ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان، ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه، ولا يفطن له فيتصدق عليه**»، وهذا الحديث قد أسنده الشيخان في صحيحيهما[5] من وجه آخر.

وقال سعيد بن جبير: هو الذي يجيء وقد قسم المغنم فيرضخ له.

وقال محمد بن إسحاق: حدثني بعض أصحابنا، قال: كنا مع عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في طريق مكة فجاء كلب فانتزع عمر رضي الله عنه كتف شاة، فرمى بها إليه وقال: يقولون إنه المحروم.

وقال الشعبي: أعياني أن أعلم ما المحروم.

واختار ابن جرير أن المحروم الذي لا مال له بأي سبب كان وقد ذهب ماله، سواء كان لا يقدر على الكسب أو قد هلك ماله أو نحوه بآفة أو نحوها.

وقال الثوري عن قيس بن مسلم عن الحسن بن محمد رضي الله عنه قال: إن رسول الله ✕ بعث سرية، فغنموا فجاءه قوم يشهدوا الغنيمة، فنزلت هذه الآية (**وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ**) وهذا يقتضي أن هذه مدنية، وليس كذلك بل هي مكية شاملة لما بعدها.

5(?) البخاري 1476 ومسلم 1039.

وقوله عز وجل ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾ أي فيها من الآيات الدالة على عظمة خالقها وقدرته الباهرة، مما قد ذرأ فيها من صنوف النبات والحيوانات والمهاد والجبال والقفار والأنهار والبحار، واختلاف ألسنة الناس وألوانهم، وما جبلوا عليه من الإرادات والقوى، وما بينهم من التفاوت في العقول والفهوم والحركات والسعادة والشقاوة، وما في تركيبهم من الحِكم في وضع كل عضو من أعضائهم في المحل الذي هو محتاج إليه فيه، ولهذا قال عز وجل ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ قال قتادة: من تفكر في خلق نفسه عرف أنه إنما خلق ولينت مفاصله للعبادة، ثم قال تعالى ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾ يعني المطر ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ يعني الجنة قاله ابن عباس رضي الله عنه ومجاهد وغير واحد.

وقال سفيان الثوري: قرأ واصل الأحدب هذه الآية (وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ) فقال: ألا أرى رزقي في السماء وأنا أطلبه في الأرض، فدخل خربة فمكث ثلاثا لا يصيب شيئا، فلما أن كان في اليوم الثالث إذا هو بدوخلة من رطب وكان له أخ أحسن نية منه دخل معه فصارتا دوخلتين فلم يزل ذلك دأبهما حتى فرق بينهما الموت.

وقوله تعالى ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ يقسم تعالى بنفسه الكريمة أن ما وعدهم به من أمر القيامة والبعث والجزاء كائن لا

محالة، وهو حق لا مرية فيه، فلا تشكوا فيه كما لا تشكوا في نطقكم حين تنطقون، وكان معاذ رضي الله عنه إذا حدث بالشيء يقول لصاحبه: إن هذا لحق كما أنك ههنا.

قال مسدد عن ابن أبي عدي عن عوف عن الحسن البصري قال: بلغني أن رسول الله ✕ قال «**قاتل الله أقواما أقسم لهم ربهم ثم لم يصدقوا**» ورواه ابن جرير عن بندار عن ابن أبي عدي عن عوف عن الحسن فذكره مرسلا.

[**الشرح**]

قوله جل وعلا (**وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ**)

الأموال: جمع مال وهي كل ما يُتَمَوَّل، وليس خاصا بالنقدين أو ما قام مقامهما من أنواع العملات؛ بل المال كل ما يتمول؛ يعني كل ما يحفظه المرء فيعده لحاجته، فيدخل في المال العقار، ويدخل فيه المنقولات، ويدخل فيه المطعومات، ويدخل فيه الملبوس وأشباه ذلك.

وأحوج ما يكون الناس إلى المال الذي هو النقد، فهذا ظاهر في دخوله في هذه الآية وأنه مطلوب مقصود.

قال سبحانه (**فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ**) وهذه الآية مكية كما هو معلوم، وهذا دليل على أنَّ في كل مال حقا، وأنه كان لك قبل فرض الزكاة، ففي كل مال حق، وعلى كل مسلم حق في ماله غير الزكاة، فالزكاة نوع من الحق الواجب الذي يجب أداؤه للأصناف المذكورة؛ لكن في المال حق أيضا سوى الزكاة، وذلك من جهة أداء الحقوق

الواجبة في المال من النفقة مثلا على الأهل والولد، أو على الأقارب الذين تجب نفقتهم عليه، أو على بذل الماعون، أو على الإعارة، أو ما أشبه ذلك مما هو مفصل في كتب الفقه.

فليس حق المال هو الزكاة فقط؛ بل الزكاة نوع من أنواع الحقوق، لكنها هي ركن الإسلام وهي قرينة الصلاة، والزكاة أمرها عظيم من جهة نِصابها ومن جهة النفقة في مصارفها الثمانية التي حددت في القرآن.

أما أنواع النفقات الأخرى فهناك ما دل على وجوب النفقة في مثل قول الله جل وعلا ﴿**وَالوَالِدَاتِ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى المَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالمَعْرُوفِ لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا لاَ تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلاَ مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ**﴾[البقرة: 233]، فأوجب من النفقة الرزق والكسوة على الوالد وكذلك على الوالدة حين لا ينفق الوالد أو حين موته أو ما أشبه ذلك .

وقوله هنا (**حَقٌّ**) لم يجعله حقا معلوما، وفي آية المعارج جعله حقا معلوما فقال ﴿**فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ(24) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ**﴾[المعارج:24-25]، والآية مكية والحق المعلوم هو ما كان معلوما عندهم، والعلم هنا هو:

إما علمه هو بما أخرجه من ماله فصار معلوما لديه؛ لأنه يخرج من ماله كل سنة كذا وكذا، أو يخرج لأهل الحاجات كذا وكذا من النسبة أو من قدر المال فيصبح معلوما بالنسبة لديهم.

أو يكون معلوما بما هو مأمور به من جهة الشرع، أو بما جرى عليه العرف في مكة.

فالآيات تدل على أنه كان قبل نزول فرضية الزكاة كان هناك حقا معلوما، وهذا الحق المعلوم:

إما بأمر النبي صَلَّى الله عليه وسلم.

وإما بما دل عليه العرف في ذلك الزمان.

أو بما علمه هو فأخرجه وألزم نفسه به.

وهذا الحق المعلوم هو الذي فُسر بأنه الزكاة في مكة فإنه يزكي ويطهر وهذا معنى قوله في سورة المزمّل ﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللهَ قَرْضًا حَسَنًا**﴾[المزمل:20]. مع كون الآية مكية فذكرت فيها الزكاة والمراد بالزكاة هناك إخراج الحق المعلوم الذي في هذه الآيات (**فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ**)، (**وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ**) وقوله (**وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وآتُوا الزَّكَاةَ**).

وقوله (**لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ**) السائل معروف هو من يسأل يطلب حاجته، والسائل قد يكون محقا وقد يكون غير محق، فإذا كان محقا فما يفلح من رده إذا كان له حق فيما أوجب الله جل وعلا، وإذا كان غير محق أيضا وظهر لصاحب المال أن هذا غير محق في سؤاله فهنا لا يجب

عليه أن يعطيه؛ لكن إن أعطاه دفعا لمذلة السؤال فهذا فيه خروج له مما تُوعِّد به من منع السائل.

والمحروم الصواب فيه هو كل من حُرم المال إما من سبب من نفسه كأهل الحرف الذين لا يجدون كفايتهم، وإما بسبب من غيره الذي لا يعطى، القريب الذي لا يعطيه قريبه أو صاحب الحاجة الذي لا يعطيه أصحاب الأموال حاجتهم وأشباه ذلك، أو ويدخل فيه أهل البيت الذين يمنعون ما وجب الله جل وعلا لهم أو لا يعطون كما هو موجود في بعض البلاد أنه لا يقام لهم بحاجاتهم، فهؤلاء نوع من أنواع المحرومين فيعطون من الصدقة، فكل من كان محروما من المال وآكدهم من لا يسأل الناس شيئا، فهؤلاء لهم حق خاص في ذلك كما وصف الله أهل الإيمان بقوله (**وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ**).

وأما قوله جل وعلا (**فِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ**) فهذا ظاهر جدا من كون أن الأرض فيها أنواع من الآيات التي تدل على وحدانية الله جل علا في ربوبيته، وأنه جل وعلا الذي خلقها وهو الذي مهد السبل فيها وشق أوديتها وأقام جبالها جل وعلا وأخرج أشجارها وثمارها سبحانه وتعالى، فمن تأمل في الأرض وجد أن كل شيء فيها يدل على وحدانية الله جل وعلا كما قال القائل:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

وثبت عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال «**تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في ذات الله فتهلكوا**»، التفكر في الأرض وما فيها هذا يحدث اليقين كما قال سبحانه هنا (**وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ**) يعني أن الموقن يستفيد من الآيات، وكذلك النظر في هذه الآيات يحدث اليقين، فاليقين سبب ونتيجة أيضا، فمن تأمل ونظر تيقن، ومن تيقن تأمل ونظر، فهي سبب ونتيجة فتكون اللام هنا غائية أو تكون اللام هنا المعروفة؛ يعني أنها آيات لهؤلاء يعني هؤلاء هم المختصون بكون ما في الأرض آيات لهم بكونهم المنتفعين.

قال جل وعلا بعدها (**وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ**) وهنا اختلف العلماء في الوقف على وجهين:

منهم من يجعل (**وَفِي أَنفُسِكُمْ**) تابع لما قبلها في قوله (**وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ(20)وَفِي أَنفُسِكُمْ**)؛ يعني وفي أنفسكم آيات للموقنين فيكون الوقف على (**أَنفُسِكُمْ**).

ومن أهل العلم من يرى أن تعلق البصر بما في الأنفس فقال (**وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ**) فتكون جملة مستقلة؛ يعني أنه يطلب البصر والنظر والتدبر في الأنفس وليس ما في الأنفس آيات للموقنين وتلك ما في الأرض.

وهَذا وهذا كلاهما صواب فإن ما في الأنفس آيات للموقنين؛ لأن الله جل وعلا جعلها كذلك قال ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَائِكُمْ مِنْ فَضْلِهِ**﴾[الروم

23]، وقال ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا**﴾[الروم:21]، وأشباه ذلك من النصوص.

(**وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ(22) فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ**)، قوله (**وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ**) وما توعدون المقصود لها الجنة، (**وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ**) يعني من المطر (**وَمَا تُوعَدُونَ**) أيضا لأهل الإيمان من الجنة والنعيم.

وهذه استدل بها كثير من أهل العلم؛ بل جمهور أهل العلم على أن الجنة موجودة الآن في السماء في العلو وأن النار موجودة في الأرض في داخل الأرض.

قال (**فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ**) وهذا لاشك أن الواجب على أهل الإيمان أن يتيقنوا وأن يكون ما عندهم من حقائق الإيمان أنه حق لا مرية فيه، قال (**فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ**) يعني إن القرآن حق مثلما أنكم تنطقون، وإن ما في الجنة لأهل الإيمان حق مثل ما أنكم تنطقون، وأن البعث حق وآتٍ مثل ما أنكم تنطقون، فهو حق لا مرية فيه كما لا مرية فيمن يحدثك وينطق أمامك بالكلام.

[**المتن**]

﴿**هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ(24)إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ**

مُنكَرُونَ(25)فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ(26)فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ(27)فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ(28)فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ(29) قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ(30)﴾

هذه القصة قد تقدمت في سورة هود والحجر أيضا، فقوله ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ أي الذين أرصد لهم الكرامة، وقد ذهب الإمام أحمد وطائفة من العلماء إلى وجوب الضيافة للنزيل، وقد وردت السنة بذلك كما هو ظاهر التنزيل.

وقوله تعالى ﴿فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ﴾ الرفع أقوى وأثبت من النصب، فرده أفضل من التسليم، ولهذا قال تعالى ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾[النساء:86]، فالخليل اختار الأفضل.

قوله تعالى ﴿قَوْمٌ مُنكَرُونَ﴾ وذلك أن الملائكة وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل قدموا عليه في صورة شبان حسان عليهم مهابة عظيمة، ولهذا قال (قَوْمٌ مُنكَرُونَ).

وقوله عز وجل ﴿فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ﴾ أي أنسلَّ خفية في سرعة ﴿فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ أي من خيار ماله، وفي الآية الأخرى﴿فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ [هود:69]، أي مشوي على الرضف.

﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ﴾ أي أدناه منهم ﴿قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ تلطّف في العبارة وعرض حسن، وهذه الآية انتظمت آداب الضيافة فإنه جاء بطعام من حيث لا يشعرون بسرعة، ولم يمتنَّ عليهم أولا فقال: نأتيهم بطعام- بل جاء به بسرعة وخفاء وأتى بأفضل ما وجد من ماله وهو عجل فتي سمين مشوي- فقربه إليهم، لم يضعه وقال: اقتربوا .بل وضعه بين أيديهم ولم يأمرهم أمرا يشق على سامعه بصيغة الجزم؛ بل قال (**أَلَا تَأْكُلُونَ**) على سبيل العرض والتلطف، كما يقول القائل اليوم: إن رأيت أن تتفضل وتحسن وتتصدق فافعل-

وقوله تعالى ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ هذا محال على ما تقدم في القصة في السورة الأخرى وهي قوله تعالى ﴿**فَلَمَّا رَءَا أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ(70) وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ**﴾[هود:70-71]، أي استبشرت بهلاكهم لتمردهم وعُتُوِّهم على الله تعالى- فعند ذلك بشرتها الملائكة بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ﴿**قَالَتْ يَا وَيْلَتَى ءَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ(72) قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللهِ رَحْمَتُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**﴾[هود:72-73]، ولهذا قال الله سبحانه وتعالى ههنا ﴿**وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ**﴾

فالبشارة له هي بشارة لها؛ لأن الولد منهما، فكل منهما بشر به.

وقوله تعالى﴿فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ﴾ أي في صرخة عظيمة ورنة، قاله ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وعكرمة وأبو صالح والضحاك وزيد بن أسلم والثوري والسدي، وهي قولها ﴿يَا وَيْلَتَى﴾[هود:72].

﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ أي ضربت بيدها على جبينها قاله مجاهد وابن سابط، وقال ابن عباس رضي الله عنه لطمت أي تعجبا كما تعجب النساء من الأمر الغريب.

﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ أي كيف ألد وأنا عجوز وقد كنت في حال الصبا عقيما لا أحبل؟

﴿قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ أي عليم بما تستحقون من الكرامة حكيم في أقواله وأفعاله.

[الشرح]

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين.

أما بعد:

فهذه الآيات مشتملة على قصة إبراهيم عليه السلام مع أضيافه من الملائكة، فقال جل وعلا (**هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ**) وهؤلاء هم الملائكة، أرسلهم الله جل وعلا إلى إبراهيم في صورة شبان حسان لطاف ليعظم بهم الابتلاء، ووصفهم الله جل وعلا بصفتين:

الأولى أنهم ضيف.

والثانية أنهم مكرمون.

وأما كونهم ضيفا؛ فإن إبراهيم عليه السلام لم يكن يعلم حالهم، ولهذا استغرب أنهم لا يأكلون، ولو علم أنهم من الملائكة لما قدم لهم شيئا كما قال هنا (**أَلَا تَأْكُلُونَ**) لأنهم لم تمتد أيديهم إلى الطعام كما في سورة هود ﴿**فَلَمَّا رَءَا أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ**﴾[هود:70].

والوصف الثاني أنهم مكرمون، وهذا يتضمن رفعتهم عن جنسهم، وتميزهم عن جنسهم بأنواع الصفات المحمودة؛ لأن الكريم هو المتميز عن جنسه بأنواع الصفات المحمودة؛ وهذا يعني أنهم مطهَّرون من الأدناس، ومن الصفات المذمومة التي تكون عادة في النفس.

قال جل وعلا (**إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ**) و(**إِذْ**) هنا بمعنى حين؛ يعني هل أتاك حديثهم حين دخلوا عليه فإن القصة بدأت بالدخول (**إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ**) وكلمة (**سَلَامٌ**) هذه اسم مصدر بمعنى التسليم، فتقول فيما يقاس: سلَّم سلاما أي تسليما، وطلّق طلاقا أي تطليقا وأشباه ذلك، فنصبها على أنها مصدر سلّم سلاما أو نسلم سلاما، (**فَقَالُوا سَلَامًا**) يعني نسلم سلاما، وهذا معناه يعني التعبير بالمصدر يعني معناه الكمال؛ يعني

نسلم سلاما كاملا فلا يأتيك منا إلا السلامة ولن يحصل لك منا إلا السلامة.

(**قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ**) وهو رد عليهم بالرفع؛ يعني بالجملة الاسمية، وهم سلموا عليه بالجملة الفعلية، معلوم أن الجملة الاسمية تَفْضُل الجملة الفعلية، ولهذا قال لك ابن كثير إن الرفع أفضل من النصب يعني أن الجملة الاسمية أفضل من الجملة الفعلية في ذلك لأنها مفيدة بأنواع من المعاني أعظم في هذا المقام من الجملة الفعلية.

(**قَالَ سَلَامٌ**) يعني سلام عليكم أو عليكم سلام (**قَوْمٌ مُنكَرُونَ**) لأنه نكرهم فلا يعرفهم، ليسوا أهل بلد وليس عليهم أثر سفر، فاستغرب حالهم.

قال (**فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ**) كما ذكر أنّ الأئمة كأحمد وأهل الحديث يرون وجوب الضيافة، والضيافة تحصل بما فيه إطعام الضيف وإيوائه ولو بدون ذبح؛ ولكن إبراهيم عليه السلام أكرمهم بذبح عجل سمين.

وهذا الوجوب إنما يكون في بلد ليس فيه أماكن ينزل فيها الأضياف؛ يعني في بلد ليس فيه خانات ولا فنادق وأشباه ذلك، أو أماكن معدة بالأجرة، فإن كان فلا وجوب بل للاستحباب، كما ذهب إليه أحمد وجماعة من أهل الحديث.

قال (**فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ**) يعني قد شوي وانتهى منه ويصلح للأكل، والعجل معروف أنه من البقر.

قال (**فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ**)، في قوله (**فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ**) أنّ المستحب في الإطعام أن يقرب الطعام إلى الضيف لا أن يُنقل الضيف إلى الطعام؛ لأن هذا من كمال الأدب معه، لا أن يقال له انتقل من مكان إلى مكان لأجل الطعام.

لكن جرت العادة عندنا وفيما قبل ذلك أنه ينقل الضيف إلى مكان الطعام، وهذا عُرف لا حرج فيه؛ لأن الضيف لا يرى في هذا إهانة بحقه، فالعرف عندهم أنّ من تمام الإكرام أن يقرب الطعام إلى الضيف.

قال (**فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ(27)فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً**) يعني خوفا لأنه رأى أيديهم لا تصل إليه، (**قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ**) والغلام العليم هو إسحاق عليه السلام.

فكل موطن في القرآن وصف فيه ولد إبراهيم بأنه عليم فالمراد به إسحاق.

وكل موطن في القرآن وصف فيه ولد إبراهيم بأنه حليم فإنه إسماعيل عليه السلام.

ولهذا كان الصحيح أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام لا إسحاق كما جاء في حديث ضعيف أن النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلم قال «**أنا ابن الذبيحين**»؛ يعني أباه عليه الصلاة والسلام وإسماعيل عليه السلام.

فإسحاق يوصف بأنه عليم، وإسماعيل يوصف بأنه حليم لأنه بلغ من حلمه أنه قال لأبيه ﴿**يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرْ**

سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾[الصافات: 102].

قال (**وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ(28)فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا**)، (**فِي صَرَّةٍ**) يعني في صرخة عظيمة كيف تلد وهي عجوز (**فِي صَرَّةٍ**) يعني صكة يعني صيحة عظيمة من الاستعجاب، استعجاب هذا الكلام، (**فَصَكَّتْ وَجْهَهَا**) من العجب (**وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ**) يعني كيف تلد وهي قد عقمت ولا تصلح للإنجاب، فبينوا لها أن هذا أمر خارق لما جرت به عادة النساء.

فقال جل وعلا (**قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ**) يعني هكذا قال الله جل وعلا الذي يتصرف في الملكوت، الذي هو ربك ورب كل شيء، هكذا قال؛ بأنه سوف تلدين ابنا ويكون غلاما عليما.

(**قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ**) الذي بلغ من الحكمة مطلَقَها، وأعظم ما تدل عليه، وكذلك علمه كامل بكل شيء سبحانه وتعالى لا يخفى عليه دبيب النملة السوداء على الصفاة السوداء في ظلمة الليل، وهو سبحانه حكيم يقدر الأمور ويضعها مواضعها اللائقة بالغايات المحمودة منها.

[**المتن**]

﴿**قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ(31)قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ(32)لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ(33)مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ**

لِلْمُسْرِفِينَ(34)فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ(35)فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ(36)وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ(37)﴾

قال الله تعالى مخبرا عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ(74) إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ(75)يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرَ مَرْدُودٍ﴾[هود:74-76]، وقال ههنا ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾؟ أي ما شأنكم وفيم جئتم؟ ﴿ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ﴾ يعنون قوم لوط﴿ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ(33)مُسَوَّمَةً﴾ أي معلَّمة ﴿عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ أي مكتبة عنده بأسمائهم، كل حجر عليه اسم صاحبه.

فقال في سورة العنكبوت ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنْ الْغَابِرِينَ﴾[العنكبوت:32]، وقال تعالى ههنا ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وهم لوط وأهل بيته إلا امرأته ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ﴾ احتج بهذه من ذهب إلى رأي المعتزلة ممن لا يفرق بين مسمى الإيمان والإسلام؛ لأنه أطلق عليهم

المؤمنين والمسلمين، وهذا الاستدلال ضعيف لأن هؤلاء كانوا قوما مؤمنين، وعندنا أن كل مؤمن مسلم ولا ينعكس، فاتفق الاسمان هنا لخصوصية الحال ولا يلزم ذلك في كل حال.

وقوله تعالى ﴿ **وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ** ﴾ أي جعلناها عبرة بما أنزلنا بهم من العذاب والنكال وحجارة السجيل، وجعلنا محلتهم بحيرة منتنة خبيثة ففي ذلك عبرة للمؤمنين **(لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ)**.

[**الشرح**]

هذه الآيات واضحة؛ ولكن في قوله جل وعلا (**فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ**) فيها دليل على أنهم كانوا مؤمنين؛ لأن الله سبحانه أخرج من فيها من المؤمنين فدل على أنهم مؤمنون، ثم قال (**فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ**) يعني أنهم مسلمون أيضا.

وهذا على القاعدة المعروفة أن من كان مؤمنا فإنه مسلم؛ لأنهم وصفوا بالإيمان الباطن ووصفوا بالإسلام وهذا أكمل.

ومن رأى من العلماء أن الإيمان والإسلام شيء واحد بدلالة هذه الآية فهذا ليس بجيد؛ بل هو غلط، لأن الله جل وعلا في سورة الحجرات فرق ما بين الإيمان والإسلام فقال سبحانه ﴿ **قَالَتْ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي**

قُلُوبِكُمْ﴾[الحجرات:14]، وقد ثبت في الصحيح أن النبي صَلَّى الله عليه وسلم أعطى عطاء فقال له بعض الصحابة: يا رسول الله أعطي فلانا فإني ما علمت أنه مؤمن؛ يعني فإن علمي به أنه مؤمن، فقال النبي عليه الصلاة والسلام «**أو مسلم**»، فكرره عليه فقال النبي صَلَّى الله عليه وسلم «**أو مسلم**» فكرر ثالثة فقال «**أو مسلم**»، ثم قال «**إني لأعطي**» إلى آخر الحديث.

فالمقصود أن الإيمان والإسلام الصحيح أنهما متغايران وأن الإسلام إذا اجتمع مع الإيمان فيعني به العمل الظاهر مع أصل الإيمان، والإيمان إذا أجتمع مع الإسلام فيعني به الإيمان الباطن مع أصل الإسلام.

وهذا طاهر بيّن.

ومن قال إن الإسلام والإيمان شيء واحد كالبخاري وغيره من العلماء، يقول إن الإسلام في آية الحجرات وفي غيرها لما فرق بينه وبين الإيمان فإنما سمي إسلاما لأنه استسلام من القتل (**قَالَتْ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا**) يعني لم يحصل لكم إيمان ولا إسلام على الحقيقة (**وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا**) يعني استسلمنا خوفا من القتل، هكذا يؤولونها وهذا ليس بجيد أم حديث جبريل يرده، حديث جبريل قال أخبرني عن الإسلام، ثم قال أخبرني عن الإيمان، ففرق بين الإسلام والإيمان، فدل على أن الإسلام ليس هو الاستسلام من القتل، وإنما هو

فعل الطاعات الظاهرة بالجوارح مع أصل الإيمان، في بحث طويل معروف في هذه المسألة.

وقوله جل وعلا (**فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ(36)وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ**)، (**تَرَكْنَا فِيهَا**) يعني في هذه القرية، (**آيَةً**) لأنهم عوقبوا بالحجارة، والحجارة كانت مسوّمة يعني معلمة، فكل حجر عليه اسم صاحبه الذي سيصيبه؛ لأنهم كانوا يفعلون الفاحشة.

ومن هذا اختار كثير من أهل العلم أن من فَعل فِعل قوم لوط فإنه يرمى بالحجارة حتى يموت لأن الله جل وعلا أرسل إليهم الملائكة بالحجارة، فقال سبحانه (**إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ(32)لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ(33)مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ**) وهذا دليل واضح الدلالة على ذلك وأن من فَعل فِعل قوم لوط فإنه يقتل؛ لأن أولئك عوقبوا بالقتل ،وهذا قول طائفة من أهل العلم.

وقال الجمهور إن من فَعل فِعل قوم لوط فإنه كالزاني، فإن كان ثيبا قد عرف النكاح فإنه يقتل، وإن كان غير محصن فإنه يجلد، وهذا الذي عليه مذهب الإمام أحمد وجماعة من الأئمة وهو الذي عليه العمل في المحاكم هنا.

... ما أعرف؛ لكن الظاهر ظاهر الآيات أنها ما استثنيت، ﴿**وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ**

فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِ عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ أُدْخُلاَ النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾[التحريم:10]، الظاهر أنها ما استثنيت لكن إذا كان فيه دليل خاص لا أدري.[6]

[المتن]

﴿وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ(38) فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ(39)فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ(40)وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ(41)مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ(42)وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ(43)فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ(44)فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ(45)وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ(46)﴾

يقول تعالى ﴿وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ أي بدليل باهر وحجة قاطعة.

﴿فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ﴾ أي فأعرض فرعون عما جاءه به موسى من الحق المبين استكبارا وعنادا.

وقال مجاهد: تعزز بأصحابه.

وقال قتادة: غلب عدو الله على قومه.

---

[6] (?) انتهى الشريط الأول.

وقال ابن زيد: (**فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ**) أي بمجموعته التي معه ثم قرأ ﴿**لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ**﴾[هود:80]، والمعنى الأول قوي كقوله تعالى ﴿**ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**﴾[الحج:9]، أي معرض عن الحق مستكبر.

﴿**وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ**﴾ أي لا يخلو أمرك فيما جئتني به من أن تكون ساحرا أو مجنونا.

قال الله تعالى ﴿**فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ**﴾ أي ألقيناهم ﴿**فِي الْيَمِّ**﴾ وهو البحر ﴿**وَهُوَ مُلِيمٌ**﴾ أي وهو ملوم كافر جاحد فاجر معاند.

ثم قال عز وجل ﴿**وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ**﴾ أي المفسدة التي لا تنتج شيئا. قاله الضحاك وقتادة وغيرهما.

ولهذا قال تعالى ﴿**مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ**﴾ أي مما تفسده الريح ﴿**إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ**﴾ أي كالشيء الهالك البالي، وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو عبيد الله ابن أخي ابن وهب، حدثنا عمي عبد الله بن وهب، حدثني عبد الله يعني ابن عياش الغساني، حدثني عبد الله بن سليمان عن دراج عن عيسى بن هلال الصدفي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**الريح مسخرة من الثانية**-يعني من الأرض الثانية- **فلما أراد الله تعالى أن يهلك عادا، أمر خازن الريح أن يرسل عليهم ريحا تهلك عادا،**

قال: أي رب أُرسل عليهم الريح قدر منخر الثور؟ قال له الجبار تبارك وتعالى لا إذن تُكْفَأُ الأرض ومن عليها؛ ولكن أرسل عليهم بقدر خاتم، فهي التي قال الله عز وجل في كتابه ﴿مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾» هذا الحديث رفعه منكر، والأقرب أن يكون موقوفا على عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما من زاملتيه اللتين أصابهما يوم اليرموك. والله أعلم.

[الشرح]

يعني أنه من التوراة لأن عبد الله بن عمر أصاب أوراقا من التوراة وأصبح يحدث منها يعني بأحاديث بني إسرائيل.

[المتن]

قال سعيد بن المسيب وغيره في قوله تعالى (**إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ الرِّيحَ الْعَقِيمَ**) قالوا هي الجنوب.

وقد ثبت في الصحيح[7] من رواية شعبة عن الحكم عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور**».

﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ﴾

قال ابن جرير: يعني إلى وقت فناء آجالكم.

---

[7] (?) خ1035 م900

والظاهر أن هذه كقوله تعالى ﴿**وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ**﴾[فصلت:17]، وهكذا قال ههنا ﴿ **وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ(43)فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ**﴾ وذلك أنهم انتظروا العذاب ثلاثة أيام فجاءهم في صبيحة اليوم الرابع بكرة النهار.

﴿**فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ**﴾ أي من هرب ولا نهوض ﴿**وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ**﴾ أي لا يقدرون على أن ينتصروا مما هم فيه.

وقوله عز وجل ﴿**وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ**﴾ أي وأهلكنا قوم نوح من قبل هؤلاء ﴿**إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ**﴾ وكل هذه القصص قد تقدمت مبسوطة في أماكن كثيرة من سور متعددة والله تعالى أعلم.

[**الشرح**]

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فهذه الآيات مشتملة على أنواع من آي الله جل وعلا في خلقه وفي فعله بأعداء رسله فقال جل وعلا (**وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ**) يعني كما قال فيما قبل ذلك (**وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ**

يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (37) وَفِي مُوسَى) يعني وفي موسى آية (**إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ**) وكلمة (**إذْ**) بمعنى حين؛ ولكنها تقتضي استحضار التفاصيل التي يعلمها من يذكَّر بالشيء، قال (**وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ**) أو وفي موسى آية واذكر حين أرسل.

قال علماء المعاني (**إذْ**) تأتي في القرآن منصوبة بفعل مضمر تقديره أذكر أو أذكروا، وهذا التذكر ليستحضر جميع التفصيلات المعلومة في هذه القصة، كما في قوله تعالى مثلا ﴿**وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ**﴾[الأنفال:26]، وغالبا ما يحذف الفعل أذكر أو أذكروا وتبقى إذْ ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ**﴾[8]، ﴿**وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ**﴾ [المائدة:111]، ﴿**وَإِذْ قَالَ اللَّهُ**﴾[المائدة:116]، ونحو ذلك يعني لأنها منصوبة بفعل مضمر تقديره أذكر في كثير من المواضع.

وهذا يعني استحضار جميع التفاصيل وكأن الذي يذكر بذلك حضره فطلب منه أن يمر كل شيء حصل بين عينيه لتكون العبرة أقوى ولتكون الحجة أعظم.

---

[8](?) البقرة:30، الحجر: 28،

قال جل وعلا (**إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ**) موسى عليه السلام أرسل بالسلطان، وأرسل بالآية، وأرسل بالبرهان.

هذه ثلاثة أشياء سميت بها حجج الأنبياء، فحجج الأنبياء التي دلت على صدقهم وكانت ظاهرة فوق ما مع عدوهم هي السلطان والآية والبرهان والبينة أيضا الرابع البينة.

كما في قوله جل وعلا مثلا في سورة الأعراف ﴿**قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ(105) قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا**﴾ [الأعراف:105]، وقال سبحانه ﴿**فِي تِسْعِ آيَاتٍ**﴾[النمل:12]، وقال ﴿**فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ**﴾[القصص:32]، وقال ﴿**فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٌ**﴾[إبراهيم:10]. وأشباه ذلك.

فحجج الأنبياء التي أيِّدوا بها تسمى في القرآن البراهين والسلطان والآية والحجة والبينة.

وأما تسميتها معجزة فهو اصطلاح حادث، وقد يكون فيه محذورٌ؛ لأن السلف ما استعلموا في آيات الأنبياء لفظ المعجزة، وإنما درجوا على ما جاء في القرآن من تسميتها آية وبرهانا وسلطانا وبيِّنة وحجة ﴿**وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ**﴾[الأنعام:83].

قال سبحانه وتعال هنا (**إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ**) والمبين يشتمل على شيئين:

أنه بيِّن في نفسه قوي ظاهر واضح لا التباس فيه.

وأيضا مبين لفساد غيره لأن كلمة مبين في القرآن:

- تكون من أبان اللازم بمعنى وضح الشيء وظهر وبان واتضح.
- وتكون من أبان المتعدية إذا أبا غيره وأوضح ما فيه.

سمى الله جل وعلا السلطان هنا الذي أوتيه موسى وهو الحية انقلاب العصا حية التي يعلمون أنه لا يستطيع ساحر أن يأتي بها سماها سلطانا مبينا، وهي كذلك من جهة أنها أبانت أن ما مع السحرة باطل.

فقال سبحانه هنا (**بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ(38) فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ**) الركن هنا الجانب كما قال سبحانه بآية الحج ﴿**ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**﴾[الحج:9]، (**فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ**) يعني تولى بجانبه مستكبرا عن ذلك مثل ما رجحه ابن كثير فيما سمعت .

(**بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ(39) فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ**) وهذا واضح.

وقال بعدها (**وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ**) الريح منها ما هو نافع ومنها ما هو غير نافع، منها ما يتولد منه الخير ومنها ما لا يتولد منه خير أو يكون سببا للشر.

والخير ريح الخير تسمى ريح الخير كما قال جل وعلا ﴿**وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ**﴾[الحجر:22]، يعني تلقى في السحاب.

وهذه الريح سميت عقيما؛ لأن العقيم هو الذي لا يتولد منه شيء مما ينفع ولهذا كانت متمحضة للشر.

قال سبحانه هنا (**وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ الرِّيحَ الْعَقِيمَ(41)مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ**) وهذا العموم مخصوص بالمساكن كما قال سبحانه في سورة الأحقاف ﴿**فَأَصْبَحُوا لاَ يُرَى إِلاَّ مَسَاكِنُهُمْ**﴾[الأحقاف:25]، مثل ما هو معلوم في حال هؤلاء أن مساكنهم بقيت لتدلّ على العذاب الذي نالهم.

فإذن في قوله (**مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ**) هذا العام مخصوص أو يقال إنه قيد هنا بقوله (**أَتَتْ عَلَيْهِ**)، والمساكن ربما أنها لم تأت عليها فيبقى العموم على حاله.

(**وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ**) يعني ثلاثة أيام كما في قوله جل وعلا قال ﴿**تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلاَثَةَ أَيَّامْ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٌ**﴾[هود:65]، والآيات واضحة المعنى.

[**المتن**]

﴿**وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ(47)وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ(48)وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ(49)فَفِرُّوا**

إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ(50)وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ(51)﴾

يقول تعالى منبها على خلق العالم العلوي والسفلي ﴿**وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا**﴾ أي جعلناها سقفا محفوظا رفيعا.

﴿**بِأَيْيدٍ**﴾ أي بقوة قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والثوري وغير واحد.

﴿**وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ**﴾ أي قد وسعنا أرجاءها ورفعناها بغير عمد حتى استقلت كما هي.

﴿**وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا**﴾ أي جعلناها فراشا للمخلوقات.

﴿**فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ**﴾ أي وجعلناها مهدا لأهلها.

﴿**وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ**﴾ أي جميع المخلوقات أزواج: سماء وأرض، وليل ونهار، وشمس وقمر، وبر وبحر، وضياء وظلام، وإيمان وكفر، وموت وحياة، وشقاء وسعادة، وجنة ونار، حتى الحيوانات والنباتات، ولهذا قال تعالى ﴿**لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾ أي لتعلموا أن الخالق واحد لا شريك له.

﴿**فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ**﴾ أي إلجأوا إليه واعتمدوا في أموركم عليه.

﴿**إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ(50)وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا**﴾ أي لا تشركوا به شيئا، ﴿**آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ**﴾.

[الشرح]

قال سبحانه هنا (**وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ**)، وقوله (**السَّمَاءَ**) هذا يشمل جنس السموات، فالمراد بالسماء هنا واحدة السموات، وقوله (**بَنَيْنَاهَا بِأَيْيدٍ**) شيدناها ورفعناها وبنيناها بقوة وشدة، فالأيد هذه كلمة مفردة ليست جمعا ومعناها القوة والشدة، كما في قوله تعالى في سورة ص ﴿**وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ**﴾[ص:18]؛ يعني ذا القوة والشدة والسطوة.

فقوله سبحانه هنا (**بَنَيْنَاهَا بِأَيْيدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ**) يعني بنيناها بقوة لأن السماء أمرها عجيب، والسموات السبع متراكبة بعضها فوق بعض؛ طباق، وهي سقف محفوظ -يعني السماء الدنيا- سقف محفوظ لهذه الأرض، وقوله سبحانه وتعالى (**وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ**) يعني فيها، (**بَنَيْنَاهَا بِأَيْيدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ**) في السماء وفيما خلق الله جل وعلا، فهو سبحانه وتعالى الواسع، وهو الموسع للأشياء إذا أراد وإذا شاء سبحانه وتعالى.

وقوله (**وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ**) هذه:

تحتمل أن يكون المراد بها أصل الخلق.

ويحتمل -وهو الأوجه- أن يكون المراد بها ما يكون من التغيير يوم القيامة؛ لأن الجنة التي وعد أهل الإيمان تسع السموات ﴿**وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلمُتَّقِينَ**﴾[آل عمران:133]، والآية الأخرى التي في الحديد، فالسموات والأرض فيها الجنة، عرضها السموات والأرض، والنار في

الأرض، وهذا لأن الله سبحانه وتعالى يوم القيامة يوسع الأشياء ويوسعها كما قال هنا سبحانه (**وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ**) يعني يوم القيامة ﴿**يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ**﴾[إبراهيم:48]، تتوسع في الأرض وتتوسع السماء فتكون الأرض فيها النار وتكون السماء فيها الجنة.

(**وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ(48)وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**) قول ابن كثير رحمه الله الشيء هذا يدخل في كل هذه التي ذكر الإيمان والكفر والجنة والنار والسماء والأرض أخذه من لفظ شيء؛ لأن كلمة شيء تدل على ما يصح أن يعلم أو ما يؤول إلى العلم وهذه الأشياء داخلة في العموم (**وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ**) والأزواج هي المتقابلة بعضها يضاد بعضا، فالسماء مقابلة للأرض، والليل يقابل النهار ويضاده، والجنة يقابل النار وتضادها، وهكذا حتى الحيوان والشجر فيه ذكر وفيه أنثى؛ يعني فيه أزواج، وهذا من آيات الله جل وعلا الباهرة التي تدلّ على أنه سبحانه وتعالى الخالق، ولهذا قال سبحانه هنا (**لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**)، وهذا كما قال جمع من السلف أنه ينبغي على العباد وقال بعضهم يجب أن يتفكروا حتى يتذكروا، كما قال الحسن رحمه الله تعالى الحسن البصري: عاملنا القلوب بالتفكر فأورثها التذكر فعدنا بالتذكر على التفكر وحركنا القلوب بهما فإذا القلوب لها أسماع وأبصار.

وهذا ينبغي على أهل العلم وعلى طلبة العلم وعلى كل مسلم أن يُعاهد نفسه به؛ لأن الله سبحانه أمرنا بالتفكر والتذكر في مخلوقاته فقال سبحانه هنا (**وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**)، (**مِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ**) يعني فتفكروا في ذلك لعلكم تذكرون أن الذي فعل ذلك وخلقه هو الله جل جلاله فتستعدون للقائه وتطيعون رسوله عليه الصلاة والسلام، لهذا قال بعدها (**فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ**) والله سبحانه وتعالى هو الذي لا يفر منه إلا إليه سبحانه وتعالى ولهذا قال هنا (**فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ**) يعني فروا من غيره إليه، وفروا منه سبحانه وتعالى إليه.

وهذا يُعظم الرغب في من عند الله جل وعلا أو في طاعته وفي حسن التوكل عليه وحسن الظن به واعتقاد أنه سبحانه هو الذي يصرف الأشياء كيف يشاء سبحانه وتعالى، (**فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ**) يعني بالإيمان، فروا إلى الله بالتوكل، فروا إلى الله بالتوحيد، فروا إلى الله بحسن الظن به سبحانه وتعالى فروا إلى الله تاركين غيره مهاجرين إليه جل وعلا في طاعته وطاعة رسوله صَلَّى الله عليه وسلم (**وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ**).

هذه هي النتيجة الحاصلة من التفكر والتذكر والإيقان بأن الله هو الواحد في ربوبيته؛ أن يطاع الرسول وأن يعبد الله وحده دون ما سواه، فمن عالج أمور الربوبية وتفكر فيها لذاتها لا لتقود إلى عبادة الله وحده دون ما سواه

وطاعة رسله وطاعة رسوله محمد عليه الصلاة والسلام، فإنه ليس على النهج؛ بل التفكر في أفراد الربوبية والتفكر في الملكوت النافع هو الذي يقود إلى طاعة الله جل وعلا وإلى توحيده والاستعداد إلى لقائه، فهذا هو الذي يكون نافعا، أما إذا كان للذة العقل أو للذة النظر وأشباه ذلك فإن هذا هو صنيع أهل الشرك فإنهم نظروا ولم يستفيدوا، فتأملوا في ملكوت الله من جهة الحسن والبهاء والدلالة على الربوبية دون أن يورثهم الاستعداد للقاء الله جل وعلا.

فلابد من التفكر، والتفكر الصحيح يورث تذكر الرب جل وعلا والاستعداد للقائه (**وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**)، وقال سبحانه في آيات آل عمران ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٌ لِأُولِي الأَلْبَابِ(190) الذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (191) رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ**﴾ [آل عمران:190-192]، إلى آخر الآيات فأفادهم التفكر يتفكرون أفادهم الخوف من النار والسعي في الإيمان ﴿**رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا**﴾[آل عمران:193] إلى آخر الآيات، فدلّ هذا على أن التفكر مطلوب ولكن النافع منه هو الذي يورث التذكر.

فالداعية إلى الله جل وعلا والعالم وطالب العلم والمرشد إذا حثّ الناس على التفكر وذكر شيئا من مخلوقات الله التي تدلّ على وجوده سبحانه وعلى أنه هو الربّ جل وعلا المصرف لهذه، لابد أن يقرن هذه بالمقصود من هذا التفكر؛ وهو تذكر الرب جل وعلا وتذكر لقائه وأنه سبحانه هو الذي ستصير إليه الأمور جل وعلا.

وأما مجرد ذكر أفراد الربوبية وإثبات وجود الله بالدلائل الكونية أو العلمية أو حتى في الدلائل من القرآن والسنة، فإن هذا قاصر؛ بل لابد أن يكون معه نتيجته.

وهذا في القرآن لا يذكر التفكر، لا تذكر آيات الملكوت، إلا ومعها النتيجة منها؛ وهي عبادة الله وحده دون ما سواه للاستعداد لطاعة رسله وأن ما جاء من عند الله حق وأشباه ذلك.

فإذن التفكر وسيلة وليس غاية، ولهذا لابد أن يُجعل وسيلة إلى المقصود الشرعي منه. نكتفي بهذا.

[**المتن**]

﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ(52)أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ(53)فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ(54) وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ(55)وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ(56)مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ(57)إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ(58)فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِثْلَ

ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ(59)فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمْ الَّذِي يُوعَدُونَ(60)﴾

يقول تعالى مسليا لنبيه صلى الله عليه وسلم وكما قال لك هؤلاء المشركون، قال المكذبون الأولون لرسلهم ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾

قال الله عز وجل﴿ أَتَوَاصَوْا بِهِ﴾ أي أوصى بعضهم بعضا بهذه المقالة

﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ أي لكن هم قوم طغاة تشابهت قلوبهم فقال متأخرهم كما قال متقدمهم.

قال الله تعالى ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي فأعرض عنهم يا محمد.

﴿ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ ﴾ يعني فما نلومك على ذلك.

﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي إنما تنفع بها القلوب المؤمنة.

ثم قال جل جلاله ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أي إنما خلقتهم لآمرهم بعبادتي لا لاحتياجي إليهم.

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: (**إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**) أي إلا ليقروا بعبادتي طوعا أو كرها، وهذا اختيار ابن جرير.

وقال ابن جريج: إلا ليعرفون.

وقال الربيع بن أنس: (**إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**) أي إلا للعبادة.

وقال السدي من العبادة ما ينفع ومنها ما لا ينفع، ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[لقمان:25]، هذا منهم عبادة وليس ينفعهم مع الشرك.

وقال الضحاك: المراد بذلك المؤمنون.

وقوله تعالى ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ(57)إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن آدم وأبو سعيد قالا: حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: أقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿إِنِّي أَنَا الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾[9] ورواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث إسرائيل وقال: الترمذي حسن صحيح.

ومعنى الآية أنه تبارك وتعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له، فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء، ومن عصاه عذبه أشد العذاب، وأخبر أنه محتاج إليهم؛ بل هم الفقراء إليه في جميع أحوالهم، فهو خالقهم ورازقهم.

قال الإمام أحمد: [10]حدثنا محمد بن عبد الله قال: حدثنا عمران -يعني ابن زائدة بن نشيط- عن نشيط عن أبي خالد -هو الوالبي- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**قال الله تعالى يا ابن**

---

[9](?)ورواه أبو داود 3993 والترمذي 2940 والنسائي كبرى كما في التحفة 9389

[10](?)2358

آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك، وإلا تفعل ملأت صدرك شغلا ولم أسد فقرك»[11]

ورواه الترمذي وابن ماجة من حديث عمران بن زائدة، وقال الترمذي: حسن غريب.

وقد روى الإمام أحمد[12] عن وكيع وأبي معاوية عن الأعمش عن سلام بن شرحبيل قال: سمعت حبة وسواء ابني خالد يقولان: أتينا رسول الله ✕ وهو يعمل عملا أو يبني بناء، وقال أبو معاوية: يصلح شيئا فأعناه عليه، فلما فرغ دعا لنا، وقال «**لا تيأسا من الرزق ما تهزهزت رءوسكما فإن الإنسان تلده أمه أحمر ليس عليه قشرة ثم يعطيه الله رزقه ويرزقه**».

وقد ورد في بعض الكتب الإلهية: يقول الله تعالى: « **ابن آدم خلقتك لعبادتي فلا تلعب، وتكفلت برزقك فلا تتعب، فاطلبني تجدني، فإن وجدتني وجدت كل شيء، وإن فتك فاتك كل شيء، وأنا أحب إليك من كل شيء**».

وقوله تعالى ﴿ **فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا** ﴾ أي نصيبا من العذاب

﴿ **مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ** ﴾ أي فلا يستعجلون ذلك فإنه واقع لا محالة.

---

[11] ورواه الترمذي 2466 وابن ماجة 4107

[12] 3469

﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمْ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ يعني يوم القيامة.

[آخر تفسير الذاريات ولله الحمد والمنة]

[الشرح]

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد:

فهذه خاتمة سورة الذاريات، وسورة الذاريات كما قدمنا لك سورة مكية اشتملت على تقرير الرسالة وما فعل الله جل وعلا بالمكذبين الأولين.

فابتدأها جل وعلا بقيام الحجة عليهم بذكر بعض آياته، وذكر حال المكذبين بقوله (**يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ(9)قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ(10)الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ(11)يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ(12)يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ(13) ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ**) وذكر بعض آياته جل وعلا ومصير المؤمنين المتقين المتبعين للرسل في الآخرة، ومصير المكذبين الذين كذبوا بالرسل بإبراهيم عليه السلام وبلوط وبموسى وبعاد وبهود وبصالح وبنوح، إلى أن قال جل وعلا (**كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ(52)أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ**) فهذه تدل على أنَّ المكذبين للرسل جميعا كانت حجتهم في رد الرسالات واحدة، فقوله جل وعلا (**كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ**) هذا عام يشمل الجميع الرسل وقوله (**إِلَّا قَالُوا**

سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ) هي حصر للمقولة في أنه ساحر أو مجنون.

و(**سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ**) هذه:

تحتمل أنها قول لكل طائفة لكل قوم.

وتحتمل أن تكون لاختلاف الطوائف فبعضهم يقول ساحر وبعضهم يقول مجنون.

فقوم موسى فرعون ومن معه قالوا موسى عليه السلام ساحر، وآخرون قالوا أن رسولهم إنه مجنون وهكذا، ومحمد عليه الصلاة والسلام قال عنه قومه ساحر وقالوا عنه محنون أيضا، ووجه كونه ساحرا عندهم أنه أتى بكلام مسجوع والكلام المسجوع من صنيع الكهان والسحرة عندهم، وكذلك بكلام يؤثر في الناس وتخضع له القلوب فجعلوه ساحرا لهذه العلة.

وهذا يدلك على أن الذين يضادون الديانة والرسالة إذا رموا أهل الحق ببعض الفرية فإنه لابد أن يكون عندهم تعليل، وهذا التعليل يعودون به على ضعفاء العقول والإيمان، أو ضعفاء العقول المكذبين المعتدين.

ووجه قولهم إنه مجنون: أن المجنون الذي قد أصيب بجني فسكنه فدخل فيه أو أصبح يؤثر فيه، أنه هو الذي يخرج مثل هذا الكلام الذي لا يعي أبعاده، ولا يعي أنه يفرق، ولا يعي أنه كذا وكذا من الأفعال التي لا يختارها من يتحكم في نفسه.

فإذن قولهم (**سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ**) هذا لهم تعليل فيه.

فقوله جل وعلا هنا (**كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ**) تتابعوا على ذلك، ولهذا قال بعدها (**أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ**) وتواصوا به الهمز في أولها أتواصوا به هذه الهمزة للإنكار عليهم.

وذكرت لكم قاعدة الهمز فيما مضلة وأن الهمزة التي تسبق الجمل في التفسير:

- قد تفيد الإنكار.
- وقد تفيد التوبيخ.
- وقد تكون على بابها للتقرير.

فقوله جل وعلا (**أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ**) يعني الحقيقة أنهم لم يتواصوا به لكن اجتمعوا في الطغيان، والطغيان هو مجاوزة الحد المأذون به، فكل من جاوز الحد المأذون به في الأقوال أو في الأعمال فقد أصابه الطغيان، أمر نبيه صَلَّى الله عليه وسلم بالتولي عنهم فقال (**فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ(54) وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ**) وهذا بين ظاهر.

قال (**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**) وذكر لك يعني عدة معاني في يعبدون، والصحيح أن معنى (**لِيَعْبُدُونِ**) يعني إلا للعبادة يعني إلا ليوحدون، واللام هنا هي لام الغاية يعني الغاية من خلقهم هذا، وهي تعليل للخلق، وقد يقع من العباد ذلك التوحيد منهم، قد يحصل منهم وقد لا يحصل.

إذن هي تعليل للغاية الشرعية، وذلك يعني أنه مطلوب منهم شرعا أن يعبدوه وحده دون ما سواه.

فليست هي قدرية كما البعض يظن بل الصواب أنها الصواب أنها لبيان الغاية الشرعية من خلقهم.

فإذن معناها إلا ليعبدوني وحدي إلا لعبادتي في بيان الغاية من خلقهم، الغاية الشرعية (**مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ(57)إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ**) ذكرتُ لكم مرارا أن الأسماء والصفات في القرآن لها آثارها في ملكوت الله وفي القرآن آثارها، وهذا يُعرف بظهور التعليل في الآيات، والتعليل يستفاد بستة أوجه ذكرها العلماء في مبحث القياس في الأصول، ومنها مجيء (**إنّ**) بعد الأمر أو النهي..... في الآية (**إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ**) دل على أن العلة في كونه جل وعلا ما يريد منهم من رزق وما يريد أن يطعموه جل وعلا أنه سبحانه هو الرزاق الذي يَرزق ولا يُرزق وأنه هو ذو القوة سبحانه وأنه المتين سبحانه وتعالى الذي كمل في علاه وكمل في أسمائه وصفاته.

وكذلك من مسائل التعليل التي تظهر بها آثار الأسماء والصفات مجيء الجملة مرتبة بالفاء وبالشرط وبجوابه وبالجملة الاسمية التي تفيد الثبوت، وأشباه ذلك من ما هو مقرر في موضعه. نعم، الباقي واضح.

أعدّ هذه المادة: سالم بن محمد عبد الملك الجزائري